دور العقل
في الحياة الفكرية الاسلامية

The Role of Mind in Islamic intellectual life

المدرس الدكتور عادل علاوي النعيمي

Lect. Adel Alawi (ph.d)

المستخلص

جاء الإسلام ليحقق الغاية القصوى من خلق الإنسان على هذه الأرض ، والتي كانت بحد ذاتها إفراد الحق عز وجل بالعبودية دون سواه. فكانت الضروريات الخمس (الدين ، النفس ، العقل ، النسل والمال) في مفهوم الشريعة الإسلامية تهدف إلى الحفاظ على حياة البشر على هذه المعمورة ، ليتحقق الإنسان بمعرفة الله عز وجل وعبوديته العبودية الحقة .

من هنا أبرز الإسلام جوهر إنسانية الإنسان وامتيازه وتفضيله على سائر المخلوقات . فكان الخطاب الرباني ومناط التكليف للإنسان ، هو العقل الذي اختص الله عز وجل به بني آدم من سائر مخلوقاته على هذه الأرض في عالم الملك والشهادة. وبهذا فقد تبوأ العقل مكانة وركيزة أساسية في تقدم الأمم والشعوب ، وحاز على أن يكون الأساس في رقيها الحضاري ؛ كون ذلك النشاط الذهني والتفكير الدؤوب هو نتاج منبثق عن نعمة العقل التي كرم الله تعالى بها عباده من البشر .

ولما كانت تنمية العقل لا تتم إلا بالعلم، لذا جاءت مطالبة الإسلام بالتعقل كدعوة لطلب العلم، وذلك انسجامًا مع شمولية المنهج الإسلامي القائم على العلم الذي يستند -بدهيًا- على العقل .

وقد تميز الإسلام عن سائر الأديان والمعتقدات باستعماله العقل للدلالة على إثبات الخالق عز وجل ، كما نبهت الآيات القرآنية إلى غرس عقيدة الإيمان على أسس عقلية فطرية ، وذلك ليقنع المتشكك ويطمئن الباحث ، إلى أن العقائد التي يدعو إليها الإسلام ، قائمة على أساس من العلم ، وأن طريق دعوته قائمة على المنطق والعقل والمناقشة .

وقد حرص الإسلام حرصًا شديدًا على تحرير العقل من الاعتقادات الباطلة التي تفسد عمله، كالخرافات والأساطير والأوهام ، والاعتقاد بالسحر والشعوذة وما إلى ذلك مما يعطل طاقات العقل ويهدرها فيما لا طائل منه .

ومن شديد حرص الإسلام على العقل ودوره ، فقد فتح باب الاجتهاد ، مع أن الوحي يُعد المصدر الأساسي لاستقراء الأحكام الشرعية ، وبهذا جعل الإسلام للعقل دورًا في استنباط الأحكام. فكانت دعوة القرآن إلى تحكيم العقل والرجوع إلى ذوي البصيرة والرأي الثاقب لاستنباط الأحكام التي لم يرد بها نص .

وقد اشتملت الدراسة على مقدمة وخاتمة وثلاثة مباحث ، إذ تناول المبحث الأول : منزلة

العقل في الإسلام ، والمبحث الثاني : خصص لدراسة الفلسفة الإسلامية ، والمبحث الثالث : تناول أصول الفقه كإبداع للعقل المسلم.

Abstract:

Islam came to fulfill the ultimate purpose of human creation on this earth, which is to devote worship exclusively to Allah Almighty without associating anyone with Him. The five necessities (religion, life, intellect, progeny, and wealth) in the concept of Islamic Sharia aim to preserve human life on this earth so that humans may attain true knowledge of Allah and worship Him in the most genuine manner.

Islam highlighted the essence of human nature, elevating and favoring humans above all other creations. The divine address and the basis of human responsibility lie in the intellect, which Allah distinguished the children of Adam with, among all His creations in the material and visible world. Thus, the intellect occupies a central position as a cornerstone for the progress of nations and peoples, forming the foundation of their cultural advancement. This is because intellectual activity and constant reflection are outcomes of the gift of intellect that Allah has honored His human servants with.

Since the development of intellect cannot occur without knowledge, Islam called for the use of reason as an invitation to seek knowledge, aligning with the comprehensive nature of the Islamic methodology, which is fundamentally based on intellect and knowledge.

Islam stands out from other religions and beliefs in its use of reason to prove the existence of the Creator, Allah Almighty. The Quranic verses emphasize establishing faith on rational and innate foundations, convincing skeptics and reassuring seekers that the beliefs Islam calls for are based on knowledge, and its call relies on logic, reason, and dialogue.

Islam has placed great emphasis on liberating the mind from false beliefs that corrupt its function, such as superstitions, myths, illusions, and beliefs in magic and sorcery, which impede the intellect and waste its potential on futile matters.

Out of Islam's deep concern for the intellect and its role, it opened the door to ijtihad (independent reasoning), even though revelation remains the primary source for deriving Sharia rulings. Thus, Islam granted the intellect a role in deducing rulings, encouraging

the use of reason and consulting those with insight and sound judgment to derive rulings for matters where no explicit text exists.

This study consists of an introduction, a conclusion, and three chapters. The first chapter discusses the status of the intellect in Islam. The second chapter is dedicated to studying Islamic philosophy. The third chapter examines the principles of jurisprudence as a manifestation of the creative potential of the Muslim intellect.

المقدمة

جاء الاسلام ليحقق الغاية القصوى من الانسان على هذه الأرض، والتي كانت هذه -الغاية- بحد ذاتها . إفراد الحق عز وجل بالعبودية دون سواه ، فكانت الضروريات الخمس (الدين ، والنفس والعقل، والنسل ، والمال (في مفهوم الشريعة الاسلامية تهدف الى الحفاظ على حياة البشر على هذه المعمورة ليتحقق الانسان بمعرفة الله عز وجل وعبودية العبودية الحقة.

من هنا أبرز الاسلام جوهر انسانية الانسان وامتيازه وتفضيله على سائر المخلوقات ، قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ . {الاسراء : ٧٠}.

فكان الخطاب الرباني ومناط التكليف الانسان هو العقل الذي اختص الله به بني آدم من سائر المخلوقات على هذه الأرض في عالم الملك والشهادة ، وبهذا فقد تبوأ العقل مكانة وركيزة أساسية في تقدم الأمم والشعوب وحاز على أن يكون الأس والأساس في رقيّها الحضاري ، كون ذلك النشاط الذهني والتفكير الدؤوب هو نتاج منبثق عن نعمة العقل التي تكرّم بها الله تعالى على عباده من البشر

. ولما كانت تنمية العقل لا تتم الا بالعلم ، لذا جاءت مطالبة الاسلام بالتعقل تمثل دعوة لطلب العلم انسجامًا مع الشمولية المنهج الإسلامي القائم على العلم الذي يستند على - بديهيا – فقال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ . {طه: ١١٤}.

لقد تميز الاسلام عن سائر الأديان والمعتقدات باستخدامه العقل للدلالة على إثبات الخالق عز وجل، كما نبهت الآيات القرآنية على غرس عقيدة الايمان على أسس عقلية فطرية ، وذلك ليقتنع المتشكك ويطمئن الباحث، إلى أن العقائد التي يدعو إليها الاسلام ، قائمة على أساس من العلم وأن طريق دعوته قائمة على طريق المنطق والعقل والمناقشة .

بل ذهب القرآن الى القاء اللوم على من لم يحكم العقل ، ونعت من لا يحتكم اليه بالعمى والصمم وشبههم بالدواب ، لا سيما بعد ذكر الآيات والبراهين العقلية الدالة على وجود الله سبحانه وقدرته ونعمه التي لا تعد ولا تحصى .

وقد حرص الاسلام حرصًا شديدًا على تحرير العقل من الاعتقادات الباطلة التي تفسد عمله، الخرافات والأساطير والأوهام، والاعتقاد بالسحر والشعوذة وما الى ذلك مما يعطل طاقات العقل ويهدرها في ما لا طائل له ، وفى هذا المعنى حينما ربط بعض الناس كسوف الشمس بموت ابراهيم ابن النبي صلى الله فما كان من حضرته الا ان نبه حالا الى أن « الشمس والقمر لا

ينكسفان لموت أحد ولا لحيائه... »[1] .

ومن شديد حرص الإسلام على العقل و دوره، فقد فتح باب الاجتهاد ، مع أن الوصي الإلهي المصدر الأساسي لاستقراء الأحكام الشرعية ، وبهذا جعل الاسلام للعقل دوراً في استنباط الاحكام ، فكانت دعوة القرآن إلى تحكيم العقل والرجوع الى ذري البصيرة والرأي الثاقب لاستنباط الاحكام التي لم يرد بها نصر من قوله تعالى :﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الْأَمْرِ مِّنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِّنْهُمْ ﴾ }النساء: ٨٣{.

وقد اشتملت الدراسة على مقدمة وخاتمة وثلاثة مباحث ، فقد تناول المبحث الأول : منزلة العقل في الإسلام في المطلب الأول وفي المطلب الثاني تناول الرؤية الاسلامية للعمل، وأما المبحث الثاني : فقد خصص لدراسة الفلسفة الاسلامية ، فكان المطلب الأول مفاهيم ومحاصيل فلسفية وأما المطلب الثاني تطرق للمنهج الأمثل في دراسة الفلسفة .

وأما المبحث الثالث : فقد كان تحت عنوان أصول الفقه إبداع العقل المسلم ، قرر المطلب الأول بأن أصول الفقه فلسفة إسلامية أصيلة ، وأما المطلب الثاني فقد تناول أصول الفقه والتفكير الممنهج .

ونسأل الله تعالى التوفيق والسداد لما يحبه ويرضاه . وصلى الله تعالى على سيدنا محمد الوصف والوحي و الرسالة والحكمة وعلى اله وصحبه وسلم تسليما

(١) ابن دقيق العيد ،محمد بن علي وهب بن مطيع ، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ، ج١ ، ص٥٢ .

المبحث الأول
الإسلام والعقل

العقل هو مناط التكليف ونعني به : تمام العملية الفكرية التي تتكون من الدماغ ، والحواس السليمة والمعلومات السابقة، والبلوغ ، وبهذه العناصر الأربعة تتم العملية الفكرية بصورة تستلزم التكليف ، وعند فقد واحدة منها فإن الخلل الحاصل من وراء هذا الفقد يستلزم سقوط التكليف ؛ فالذي بدماغه آفة تعطل الدماغ عن العمل لا تكليف عليه ، وفاقد الحواس بأن يكون أصم أبكم أعمى لا تكليف عليه والطفل الذي لم يبلغ الحلم لا تكليف عليه ، فالأصوليون يتعرضون لتعريف العقل عند تعرّضهم لنظرية التكليف ، حيث يذكرون من شروط التكليف العقل والبلوغ وسلامة الحواس وبلوغ الدعوة إلى المكلف((١)).

المطلب الاول/ منزلة العقل في الإسلام

المعلوم لدى علماء الأصول أن كل ما جاءت به الشريعة الإسلامية من تكاليف ، ترمي إلى غاية واحدة ، هي صيانة الضروريات الخمس (الدين، النفس، العقل، النسل والمال) ، والحفاظ عليها، لأنها هي الدعائم التي تقوم عليها حياة البشر من جهة ، ولأنها تفضي إلى العبودية لله وحده لا شريك له من جهة ثانية .

ولبيان منزلة العقل في الاسلام نقول أن العقل جوهر إنسانية الإنسان ورقيه وامتيازه وتفضيله على غيره من المخلوقات ، يقول تعالى : ﴿ لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ . {الاسراء: ٧٠}

قال ابن عباس : كرمهم بالعقل ، وهو مناط التكليف ، والخطاب الإلهي((٢)) .

والعقل هو الركيزة الأساسية في تقدم الأمم والشعوب وأساس رقيها الحضاري ، فكل ما خطاها الإنسان في هذا المضمار من خطوات هو نتاج النشاط الذهني والتفكير الدؤوب المنبثق عن نعمة العقل التي تكرم الله بها على عباده ، فالعقل كما يقول الغزالي « منبع العلم ومطلعه

(١) د. علي جمعة ، علم أصول الفقه وعلاقته بالفلسفة الإسلامية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ١٩٩٦م ، القاهرة . https://www.aslein.net/archive/index.php/t-4598.html.

(٢) مجلة دعوة الحق ، العدد : ٣٠٤ ، ربيع الأول ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م ، المملكة المغربية .

وأساسه»[(١)].

ولهذا طالب الإسلام الناس بالتعقل ، ولا يتم العقل إلا بالعلم ، وعليه فإن مطالبة الإسلام بالتعقل هو دعوة لطلب العلم ، وقد جاء ذلك صريحا في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم .

يقول تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ . {طه: ١١٤}

إن العقل هو ميزان التعادل في الإنسان ، « وسر الله فيه ، به يتعرف الإنسان إلى خالقه ، وبه يعرف نفسه ، و يعرف مبدأه و منتهاه ، و يعرف مكانه في الوجود الذي يحيا فيه»[(٢)].

وقد جعل الإسلام العقل و الاقتناع بالدليل والبرهان شرطا للإيمان بالله سبحانه وتعالى ، فلقد تميز الإسلام وانفرد بين سائر الأديان والمعتقدات ، باستخدامه العقل للدلالة على إثبات الخالق عز وجل ؛ فهو لم يفرض عقائده على الناس فرضًا ، بل ناقش وعرض ، وأثار الفكر والتفكير ، وطالب بالبحث والتقصي ، ونبهت الآيات القرآنية على غرس عقيدة الإيمان على أسس عقلية فطرية ، وذلك كي يقتنع المتشكك ، ويطمئن الباحث ، إلى أن العقائد التي دعا إليها الإسلام ، قائمة على أساس من العلم ، وحتى حينما دعا الإسلام إلى الإيمان بالله سبحانه وتعالى ووحدانيته ، كانت دعوته قائمة على طريق المنطق والعقل والمناقشة .

ولو تصفحنا آيات القرآن الحكيم فإننا لا نجد سورة من سوره إلا ويحث فيها الحق عز وجل عباده على تحكيم العقل ، أو يلومنا سبحانه وتعالى على عدم تحكيمه ، أو ينعت من لا يحتكم إليه بالعمى والصمم أو يشبههم بالدواب ، ولا سيما بعد ذكر الآيات والبراهين العقلية الدالة على وجود الله سبحانه وقدرته و نعمته ، وقد نهى القرآن الكريم عن إتباع ما لم يقم عليه دليل عقلي علمي يقيني . قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ . {الاسراء:٣٦}

كما نهى عن إتباع الظن . قال سبحانه وتعالى : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ . {الانعام:١١٦} . وقال : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ . {يونس:٣٦}

إن العقل هو أداة استنباط الأحكام الشرعية من مصادرها ، بالاعتماد على إدراك مقاصد الشريعة وتمييز المصالح من المفاسد . يقول العز بن عبد السلام : « من أراد أن يعرف المتناسبات والمصالح و المفاسد . راجحها ومرجوحها ، فليعرض ذلك على عقله ، بتقدير أن الشرع لم يرد

(١) إحياء علوم الدين للغزالي: ٧٣/١.

(٢) أسامة علي محمد سليمان ، العلم والدين ، ص٦-٧ .

به ، ثم يبني عليه الأحكام ، فلا يكاد حكم يخرج عن ذلك...»[1] .

وعاب القرآن الكريم بل ونعى على تعطيل العقل عن التفكير المتزن السليم الذي يصل بصاحبه إلى الحق ، قائلًا : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ . {الأنفال:٢٢}، وصرح القرآن الكريم بجعل الرجس على الذين لا يعقلون : ﴿ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ . {يونس:١٠٠}

وفي هذه المعاني دليل ساطع على تشريف الإسلام للعقل ، وحرصه على بيان قيمته . ثم إن من أعظم مزايا الشريعة الإسلامية على غيرها من الشرائع إلزام المكلف بما قرره من الحق ، وتنفيذه ما شرعه من أحكام ، وأول طرق الالتزام و عمادها في الشريعة هو وازع العقل ، ولذلك أمرنا الحق سبحانه بتحكيم العقل ، وأكثر من البراهين والأدلة العقلية ، وأسهب في إيراد الحكمة من كثير من الأحكام ، وبشر الذي يؤتى الحكمة بأنه قد أوتي خيرًا كثيرًا[2] .

لذا اعتبر الإسلام العقل شرطًا ضروريًا لتحمل التكاليف التي فرضها الله تعالى على الإنسان، وكان الإسلام قد جعل العقل حجة على تبعة التكليف والمسؤولية ، وبهذا يكون الإسلام قد احتكم إلى العقل الذي هو ثمرة التفكير الصحيح المتحرر من سلطان الهوى والوهم ، لقوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ . {محمد:٢٤} ، يؤكد هذا نعي القرآن الكريم على الذين لا يستجيبون لما تأمرهم به عقولهم ، مما يقطع بأن العقل – في منطق الإسلام – سلطة آمرة ناهية ، إلى جانب حكم الشرع لا تجافيه ، وقد سمى القرآن الكريم العقول أحلامًا ، تجد هذا واضحًا في مثل قوله تعالى : ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾. {الطور:٣٢} ، استحقوا هذا الوصف بسبب تركهم حكم العقل ومخالفتهم لأمره ، وبحجية حكم العقل استحقوا ذلك الوصف .

ولا ريب أن تعطيل العقل يساوي المخالفة عن أحكامه ، فثبت أن النقل والعقل صنوان من حيث الحجية ، لقوله تعالى – حكاية عن الذين عطلوهما - : ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ ﴾ {الملك:١٠}. فقوله (نسمع) أي نصغي إلى نداء الشرع .

المطلب الثاني/ الرؤية الإسلامية للعقل

الشرع عقل من الخارج ، والعقل شرع من الداخل ، وهما متعاضدان بل متحدان ، ولكون

(١) العز بن عبد السلام ، قواعد الأحكام ، ت: طه عبد الرؤوف سعد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩١ ، ج١ ، ص١٠ .

(٢) مجلة دعوة الحق ، مرجع سابق .

الشرع عقلًا من الخارج ، سلب الله تعالى اسم العقل عن الكافر في غير موضع من القرآن ، نحو قوله تعالى: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ . {البقرة:١٨} ، ولكون العقل شرعًا من الداخل قال تعالى – في وصفه العقل - : ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ . {الروم :٣٠} ، فسمى العقل دينًا ، ولكونهما متحدين .

قال تعالى : ﴿ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾. {النور: ٣٥} أي « نور العقل ونور الشرع »[(١)] .

ويزيد من قيمة العقل أن الإسلام حكَّمهُ في القضية الكبرى ألا وهي مسألة الألوهية ووحدانية الخلق عز وجل إقرارًا منه بحجية العقل ، إذ اكتفى بالدلالة العقلية ، لقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ...﴾ ، إلى قوله : ﴿ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ . {آل عمران: ١٩٠ -١٩١}.

والأدلة على ذلك أكثر من أن يحيط بها حصر.

ولما كان العقل حجة في مسألة الألوهية وتوحيد الخالق عز وجل ، فإن حكمه يكون بداهة على اختيار الإنسان لأفعاله ، فتكون حريته المسؤولة حجة من باب أولى . والواقع أنه لا يستقيم لامرئ دينه حتى يستقيم عقله .

ومع كون الوحي الإلهي هو المصدر الأساسي لاستقراء الأحكام الشرعية ، إلا أن الإسلام لم يهمل العقل البشري ودوره في استنباط الأحكام . ويظهر عمل العقل الإنساني في نطاق التعرف على الأحكام الشرعية في مجالين بارزين :

- معرفة المقاصد والأهداف من النصوص والأحكام الشرعية .

- استنباط الأحكام الشرعية للحوادث الطارئة التي يفرزها الواقع والتي لم يرد نص على حكمها ، ويتم ذلك من خلال القياس أو الاجتهاد الجماعي ، وكل ذلك يعتبر اجتهادًا .

ومن هنا كانت دعوة القرآن الكريم إلى تحكيم العقل والرجوع إلى ذوي البصيرة والرأي الثاقب لاستنباط الأحكام التي لم يرد بها نص ، فقال تعالى : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾). {النساء:٨٣} .

إن المنهج الإسلامي يقوم على فكرة شمولية العلم وإطلاقه ومن المعلوم أن العلم مستنده العقل ، فلا يحده مكان ولا يقيده زمان : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾. {طه:١١٤} ، وفي هذه الآية ما يوحي « بالاستغراق والشمول حتى لكأن الإنسان في كل زمان و مكان مكلف أن يطالب نفسه بالاستزادة من كل علم يسبر به أغوار الوجود من غير حدود أو قيود ، فمسيرة العلم لا تتوقف

(١) الغزالي ، معارج القدس كافي مدارج معرفة النفس ، دار الآفاق الجديدة ، ط٢ ، ١٩٧٥ ، بيروت ، ص٥٩-٦١.

حتى تقتحم كل مجهول متاح لها «[1] .

ولم يوجب الله سبحانه ، من ذلك على الأمة إلا ما فيه حفظ دينها ودنياها وصلاحها في معاشها ومعادها ، وبإهمال ذلك تضيع مصالحها وتفسد أمورها ، فما خراب العالم إلا بالجهل ، ولا عمارته إلا بالعلم . قال الإمام أحمد : « ولولا العلم كان الناس كالبهائم « ، وقال : « الناس أحوج إلى العلم منه إلى الطعام والشراب ، لأن الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرتين أو ثلاث ؛ والعلم يحتاج إليه كل وقت «[2] .

وقد حث الإسلام بصورة متواصلة على العناية بتنمية العقل الإنساني ، وترقية الشخصية الإنسانية ، عن طريق الضرب في الأرض ، والتعرف على أحوال الأمم وطبائعها ، ووراثة الصالح والمناسب من نظمها وعاداتها ، فقال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ . {الحج:٤٦}

وهكذا فتح الإسلام الباب أمام البشرية ، لتتقدم إلى مجالات البحث و المدنية ، وقد كان من آثار ذلك ، أن أقام الإسلام للعلم منهجه ومنطقه ، من حرية البحث ، وصراحة التفكير ، وسلامة النظرة ، بعد أن طهر القلوب والعقول من أدران المادة والوثنيات .

ولقد حرص الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على تحرير العقل من الاعتقادات الباطلة التي تفسد عمله ، كالخرافات والأساطير والأوهام ، والاعتقاد بالسحر والشعوذة ، وما إلى ذلك مما يعطل طاقات العقل ويهدرها في غير ما لا طائل له . وفي هذا المعنى حينما ربط بعض الناس كسوف الشمس بموت ولده إبراهيم لأنهما اجتمعا معًا ، فقال ﷺ : « إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، ولكنهما آيتان من آيات الله ، يخوف الله بهما عباده ، فإذا رأيتم ذلك فصلوا حتى ينكشف ما بكم »[3] .

كما حرص الاسلام على زرع روح البحث وتتبع الحق وفهمه ، وإتباع ما أثبته البرهان والدليل، ونبذ التقليد الأعمى ، ودعا إلى إتباع الحجة والبرهان والتجربة ، وهو لا يقر القول بشيء أنه حق إلا إذا قام البرهان اليقيني القاطع عليه ، فقال تعالى : ﴿ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ۖ ﴾ . {الأنبياء:٢٤}

---

(١) الدريني ، فتحي ، خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم ، مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، ٢٠١٣ ، بيروت ، ص٢٣٠ .

(٢) ابن القيم ، أعلام الموقعين عن رب العالمين ، ت: محمد عبد السلام إبراهيم ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٩٩١ ، بيروت ، ج٢ ، ص٢٥٧ .

(٣) البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث : ١٠٥٩ .

وتحقيقًا لهذا المعنى دعا الإسلام إلى الاجتهاد فيما لا نص فيه من القضايا ، وجعل للمجتهد أجرين إن أصاب ، وأجر واحد إن أخطأ . ونهى في الوقت نفسه عن التقليد في العقيدة من غير وقوف على الدليل والاقتناع به . وبين أن المشركين تقليدًا سيحاسبهم الله على ذلك فقال سبحانه : ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ﴾ . {المؤمنون:١١٧}. وصرح القرآن الكريم بالإنكار على الاتباع والتقليد الأعمى ، فقال تعالى ناعيًا على الكفار موقفهم ذلك قائلًا : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ .{البقرة:١٧٠}

وقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : « لا يكن أحدكم إمعة ، يقول : أنا مع الناس ، إن أحسن الناس أحسنت ، وإن أساؤوا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم ، إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساؤوا أن تجتنبوا إساءتهم »((١)) .

ويكون تدريب الطاقة العقلية على الاستدلال المثمر ، والتعرف على الحقيقة من خلال وسيلتين هما :

الأولى : وضع المنهج الصحيح للنظر العقلي القائم على اليقين لا على مجرد التقليد أو الظن . وبناءً على ذلك كانت دعوته للتثبت من كل أمر قبل الاعتقاد به أو اقتفائه : ﴿ هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ﴾ . {الكهف:١٥}

الثانية : تدبر نواميس الكون ، وتأمل ما فيه من دقة وارتباط ، واستخدام الاستقراء و التمحيص الدقيق المستكن لحقائق الأشياء((٢)) .

لقد حرص الاسلام على توجيه الطاقة العقلية إلى النظر في حكمة التشريع كما في الآيات والأحاديث الكثيرة ، فالتشريع الإسلامي من عند الله ، ولكن القائمين على تنفيذه هم البشر ، فينبغي عليهم أن يلتمسوا حكمة التشريع وأن يراعوها ، فإن ذلك أدعى إلى أن يزيدهم إيمانا على إيمانهم ، وإلى أن يلتزموا بالتشريع على تمامه وعلى وجهه الصحيح . كما أنه سبحانه وتعالى جعل للعقل السلطان الأعلى ، في إدراك حكمة ما حدده القرآن من المبادئ لخدمة الحق والخير ومكارم الأخلاق.

وهذا السلطان العقلي الذي أمر الله تعالى الناس بالاحتكام إليه في آيات كثيرة ، هو سلطان مطلق شامل ، يتناول بسلطته كل معنى في الوجود ابتداء من فهم إماطة الأذى عن الطريق ، وانتهاءَ بأعظم الحقائق ألا وهي توحيد الألوهية .

(١) ابن الأثير ، جامع الأصول في أحاديث الرسول ، رقم الحديث : ٩٣٠٩ .

(٢) محمد قطب ، منهج التربية الإسلامية ، دار الشروق ، ط١٦ ، ١٩٨١ ، بيروت ، ص٧٧ – ٧٨ .

لقد فتح الاسلام باب الاجتهاد ، مع أن الوحي الإلهي يعتبر المصدر الأساسي لاستقراء الأحكام الشرعية ، ولكن الإسلام لم يهمل العقل البشري ودوره في استنباط الأحكام . ويظهر عمل العقل الإنساني في نطاق التعرف على الأحكام الشرعية في مجالين بارزين :

- معرفة المقاصد والأهداف من النصوص والأحكام الشرعية .

- استنباط الأحكام الشرعية للحوادث الطارئة التي يفرزها الواقع والتي لم يرد نص على حكمها ، ويتم ذلك من خلال القياس أو الاجتهاد الجماعي ، وكل ذلك يعتبر اجتهاداً»(١) .

ومن هنا كانت دعوة القرآن الكريم إلى تحكيم العقل والرجوع إلى ذوي البصيرة والرأي الثاقب لاستنباط الأحكام التي لم يرد بها نص من قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ . {النساء:٨٣}

(١) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

المبحث الثاني
الفلسفة الإسلامية

الفلسفة عبارة عن نسق فكري يقدّم تصوراً كاملاً ورؤية حول ما يتعلق بالكون والحياة والخلق والخالق، إلا أنّ الاستخدام الأكثر شيوعاً هو ما يشمل الأعمال والتصورات الفلسفية التي تشمل إطار الثقافة العربية الإسلامية والحضارة الإسلامية، وترتبط الفلسفة بالحقائق الدينيّة والنصوص الشرعية الإسلامية . وتعد الفلسفة في الإسلام بمثابة الحكمة ، وتعتبر كلمة الفلسفة يونانية الأصل[(١)] ، ولكنها اندمجت بالفكر العربي الإسلامي مؤخراً، وتتفاوت تعريفاتها لدى فلاسفة المسلمين، فهي بمثابة تصوّر كوني وبحث عميق في الطبيعة المحيطة والحياة، ومن أهم علوم الفلسفة علم الكلام وأصول الفقه وعلوم اللغة[(٢)] .

المطلب الاول/ الفلسفة الإسلامية : مفاهيم ومضامين

ظهر مفهوم الفلسفة كتيّارٍ فكريّ عند حداثة الدولة الإسلامية وتمثل بعلم الكلام باعتباره محاولات متعاقبة على بناء التصور والرؤية الشمولية لما يحيط بالإنسان في الكون ، ويُشار إلى أن الفلسفة الاسلامية قد بلغت الذروة في عصر التلاقح الفكري والحضاري وذلك بعد ترجمة ما يسمى بـ (علوم الأوائل) ومنها الفلسفة اليونانية وذلك في القرن التاسع[(٣)] .

إن عوامل نشأة الفلسفة الإسلامية كثيرة ومتعددة ، ومنها عوامل داخلية وأخرى خارجية ، وسنذكر أبرز العوامل التي أدت لظهور الفلسفة الإسلامية فيما يأتي[(٤)] :

١- الفتن والمعارك الداخلية التي نشأت بين المسلمين أنفسهم والتي كانت قد ساهمت في نشوء النقاشات المتعددة في مسائل الاعتقاد والكون والحياة ، وظهور أسئلة متعددة عن الإنسان وعلاقته بالكون .

---

(١) مقداد يالجين ، علم الأخلاق الإسلامية ، ص ١٤ .

(٢) الحمد ، محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد ، مصطلحات في كتب العقائد ، دار ابن خزيمة ، ط١ ، د. ت ، الرياض ، ص٩٨- ٩٩ .

(٣) السقاف ، الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف ، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام ، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف ، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net ، ص٢٠٣- ٢٠٥ .

(٤) الشربيني ، عماد السيد محمد إسماعيل ، كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها ، دار الكتب المصرية ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م ، القاهرة ، ص٩٢ .

٢- اتساع رقعة الفتوحات الإسلامية والتي ساعدت بدورها على انضواء شعوب وأجناس شتى في حظيرة الإسلام ، مما أدى الى نشوء تعدد في الثقافات والمعتقدات أفضى بدوره إلى تحريك ما تراكم من أفكار في عقول المنتسبين حديثا للإسلام .

٣- ظهور حركة الترجمة لبعض الكتب اليونانية ، فقد كان اليونان أول من كتب في الفلسفة .

٤- بروز الحاجة للرد على بعض التساؤلات والمعتقدات التي ظهرت في ذلك الزمان نتيجة اختلاط وتمازج الثقافات وتلاقح الأفكار .

٥- الدفاع عن الدين ، والرد على المخالفين ، فقد دخلت بعض من فلسفات اليهود والنصارى والمجوس التي حملتها معتقداتهم القديمة ؛ فكانت الحاجة ملحة للرد عليهم، وبيان الحق والصواب .

٦- ظهور علم الكلام ؛ فقد احتاج علماء الكلام للفلسفة ودراسة الفلسفة اليونانية للرد عليها بشكل صحيح .

إنّ الفلسفة الإسلامية فلسفة مؤمنة مبنية على أساس عقيدة التوحيد ، وعلى الإسلام كمرجعية دينية ؛ لذلك فهي تعبر عمّا أنتجه فلاسفة الإسلام ومفكروهم من إبداع ثقافي وفلسفي يعبران عن نمط حضارة متميزة .

لكن من الواجب علينا « أن نميز بين ما أنتجه هؤلاء (فلاسفة الإسلام) في شتى الميادين العلمية والشرعية المتعلقة بضرورة الواقع والحياة ، وبين الإنتاج الفلسفي المتعلق بمجال التأمل في الخلق والخالق ، ومحاولات فهم مظاهر الوجود والحياة والمصير ، وإمكانية التوفيق بين متطلبات الوحي واجتهاد العقل « ((١)) .

لهذا فالفلسفة الإسلامية ، فلسفة متميّزة من حيث الشكل والمضمون ، لأنها معبرة عن روح عصرها ، ومناقشة للقضايا التي أثيرت فيه ، فهي ليست كما يذهب بعض المستشرقين – بوصفها- أنها شارحة لأفكار اليونان ، وتمثالاً محنطاً لما ذهبوا إليه، دون نكران استفادتها من أفكارهم ، فالفكر تواصل عالمي بين الأجيال .

وفي هذا السياق نستطيع أن نقول : « إنه وإن نفذت إلى الثقافة الإسلامية تيارات مختلفة ، اجتمعت فيها ، وتفاعلت معها إلا أنها مع ذلك أنبتت نباتا جديدا طيّبا ، لا هو باليوناني ولا هو بالفارسي ولا هو بالهندي ، إنه نبات عربي إسلامي له طابعه الخاص، الذي لا يقلل من شأنه – استفادته من غيره ـ لأنّ الفلاسفة الإسلاميين يخالفون الفلاسفة اليونان في المفاهيم والأدلة

(١) محاضرات في الفلسفة الإسلامية _ جامعة بن بو علي الشلف .

والغاية ، وليس هذا الخلاف من وجهة نظر الدين وحده ، بل هو في بعض المسائل الكبرى خلاف عقلي فلسفي من الطراز الأول... «[١]» .

وعليه فالفلسفة الإسلامية مختلفة عن فلسفة اليونان بمميزاتها وخصائصها ، برغم استفادتها من تيارات التراث الفلسفي اليوناني وغيره ، وذلك لأن القرآن الكريم الذي يعتبر كتاب الله المحفوظ ، والمعبر عن الديانة الخاتمة التي أرسل بها سيدنا محمدا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، حيث كان نزول القرآن الكريم أعظم حدث تاريخي وحضاري شهدته البشرية في ذلك الزمان ، لأنه ولّد نقطة تحوّل في الفكر العربي ، وفي تاريخ الحضارة الشرقية والعالمية ؛ لما عبّر عنه من قضايا، ودعا إليه من مبادئ قلبت مفاهيم العرب السياسية ، والاجتماعية ، والأخلاقية ، والعقائدية ، والفكرية و» لأنّ القرآن الكريم ليس مجرّد مواعظ أخلاقية ، أو تاريخا للعبرة عن قرون ماضية ، بل هو أكثر من هذا ، هو كتاب ميتافيزيقي ، وإنساني ، وأخلاقي، وعامي.. وضع الخطوط الرئيسية للوجود كله ، فهو كتاب الكون منذ نشأته إلى فنائه «[٢]» .

ومن هذا المنظور نجد أنّ القرآن الكريم عبّر عن كثير من القضايا العلمية والمواضيع الفلسفية واهتماماتها ، فنراه قد أعلن عن وحدانية الله تعالى ، وعن فكرة الخلق ومصدرها ، وأنكر قدم المادة ، وصرح بأنها محدثة ، وأكد على كرامة الإنسان وقوة عقله ، واعتبره مسئولاً عن أفعاله .

كما أن القرآن الكريم أنكر فكرة التثليث ، وصلب المسيح عليه السلام ، والتشبيه ، وأعلن أنّ الله متصف بصفات الكمال ، وأنه سميع ، عليم ، بصير ، مطلق، قادر كل القدرة . ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . وعبر القرآن الكريم عن طبيعة الروح والإيمان بالقضاء والقدر والخير والاختيار في أفعال العباد وغيرها من القضايا التي أشار إليها القرآن الكريم ، ومن هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ ذلكم الله ربكم لا إله إلاّ هو خالق كل شيء فاعبدوه ﴾ [الأنعام، الآية ١٠٢]. وقوله تعالى : ﴿ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ، ومالها من فروج ، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي ، وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ، تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ﴾ [ق: ٦، ٨]. وقوله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد ﴾ (الإخلاص). وقوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ [الشورى : الآية ١١].

---

(١) مرحبا ، محمد عبد الرحمن مرحبا ، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الاسلامية ، عويدات للطباعة والنشر ، ٢٠٠٧ ، بيروت ، ص٣٥٢ .

(٢) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

فكل هذه القضايا وغيرها التي عبر عنها القرآن الكريم أصبحت فيما بعد مواضيعًا وحقولًا خصبة لتفكير المسلمين وفلاسفتهم ، وظهور فرقهم ، مما يؤكد أنّ القرآن الكريم قد وضع الحجر الأساس للتفكير الفلسفي في الإسلام ، وحثّ على النظر العقلي وجعله لزاما على القادرين ، بل واشترط سلامة العقل لسلامة الدين ، وسوى بين الشهادة والعلم ، وجعل النشاط العقلي والعلمي أرقى مراتب العبادة((١)) .

المطلب الثاني/ المنهج الأمثل في دراسة الفلسفة

يعد نهج الشيخ مصطفى عبد الرازق رائد الدرس الفلسفي في مصر هو النهج الأمثل في دراسة الفلسفة ، وذلك كون الشيخ مصطفى عبد الرزاق أول أستاذ جامعي يقوم بتدريس الفلسفة الإسلامية من وجهة نظر إسلامية خالصة ، حيث كانت من قبله تدرس في الجامعة المصرية من خلال ربط الفلسفة الإسلامية بالتراث اليوناني ، والذي ينكر أي دور للعقل المسلم في تطوير الفكر الفلسفي عامة .

لقد قدَّم الشيخ مصطفى عبد الرازق رؤية جديدة ، تقوم على تلمس نشأة التفكير الإسلامي الفلسفي في كتابات المسلمين أنفسهم قبل أن يتصلوا بالفلسفة اليونانية ويدرسوها دراسة وافية ، ودعا إلى تدريس علم الكلام والتصوف في أقسام الفلسفة ، وإلى البحث عن أوجه الأصالة والابتكار في الفلسفة الإسلامية . ورأى أن الاجتهاد بالرأي هو بداية النظر العقلي لدى المسلمين ؛ ومن ثم - وكما ذهب عبدالرازق - فإن علم أصول الفقه ليس ضعيف الصلة بالفلسفة ، ومباحث أصول الفقه تكاد تكون في جملتها من جنس المباحث التي يتناولها علم أصول العقائد الذي هو علم الكلام .

ومنذ أن أعلن مصطفى عبد الرازق عن دعوته التجديدية وإلى دراسة الفلسفة الإسلامية في مظانها الحقيقية ، سارع تلاميذه إلى إحياء الفكر الفلسفي الإسلامي((٢)) .

---

(١) الشيباني ، عمر محمد التومي ، مقدمة في الفلسفة الإسلامية ، الدار العربية للكتاب ، ١٩٧٥ ، القاهرة ، ص٥٦ .

(٢) عبدالرازق ، مصطفى عبدالرازق ، الشيخ مصطفى حسن عبد الرازق (ت ١٩٤٧م) مفكر وأديب مصري ، وعالم بأصول الدين والفقه الإسلامي ، شغل منصب شيخ الأزهر الشريف ، يعتبر عبدالرازق مجددا للفلسفة الإسلامية في العصر الحديث ، وصاحب أول تاريخ لها بالعربية ، ومؤسس «المدرسة الفلسفية العربية». تولى الشيخ مصطفى عبد الرازق وزارة الأوقاف ثماني مرات، وكان أول أزهري يتولاها، واختير شيخا للأزهر في ديسمبر ١٩٤٥م / محرم ١٣٦٥ هـ. ومن مؤلفاته تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، سنة ١٩٤٤م وهو أشهر كتبه وأهمها. وكتاب «فيلسوف العرب والمعلم الثاني» في سيرة الكندي والفارابي صدر سنة ١٩٤٥م. وكتاب «الإمام الشافعي»، صدر ١٩٤٥م. وكتاب الدين والوحي والإسلام. وكتاب محمد عبده سيرته. https://arz.m.wikipedia.org/wiki/%D8%B1%D9%8A%D9%86%D8%A7%D9%86.

لما تبوأ الشيخ مصطفى عبد الرازق مهمته كأستاذ للفلسفة الإسلامية عُدّ ذلك نقطة تحول في تاريخ الفلسفة الإسلامية في مصر ؛ حيث قدم تصورًا خاصًا في نشأة الفكر الفلسفي الإسلامي ، وكانت الفلسفة الإسلامية قبله تدرس على نحو يميل إلى المفهوم الغربي ، حيث اتهمت بعدم الدقة والأصالة ، والعجز عن الابتكار ، وبأنها ليست إلا صورة تحاكي الفلسفة اليونانية ، وأنها اختصار مخل قام به فلاسفة الإسلام للفكر اليوناني القديم .

وقد أنكر أغلب الباحثين الأوربيين وسار على خطاهم بعض من الكتاب المسلمين في العصر الحديث أنكروا كل جديد وإبداع للفكر الإسلامي ، « وأعلنوا أن الفلسفة الإسلامية هي فلسفة الكندي والفارابي وابن طفيل وابن باجة وابن رشد ، وهي الطائفة التي عرفت باسم فلاسفة الإسلام . وحاول هؤلاء أن يبينوا التطابق التام بين ما يسمى لديهم فلسفة إسلامية والفلسفة اليونانية ، وأن يردوا الأولى إلى الثانية ، مع تفصيلات جزئية »[(١)] .

وقد حصر هؤلاء الفكر الإسلامي في دائرة ضيقة ألا وهي الفلسفة الإسلامية ، وطمسوا جوانب مضيئة بقصد أو بدون قصد ، تصدى الشيخ مصطفى عبد الرزاق للكشف عنها ، وأبرز ما فيها من أصالة وإبداع من خلال دراسته للفلسفة الإسلامية الحقيقية ، وما أنتجه المسلمون من كتابات أصلية ، فقد دحض عبد الرزاق مزاعم المستشرقين -وعلى رأسهم رينان[(٢)]- « من أن العقل الإسلامي من الناحية البيولوجية غير قادر على إنتاج فلسفة يعتد بها ؛ لأنه يميل إلى البساطة والوحدة ويرفض التعدد والتركيب ، ودحض الشيخ عبد الرازق هذا ، مؤكدا على المكانة الرفيعة التي يتبوأها العقل في الإسلام ، من خلال دراسته للنظر العقلي في الفكر الإسلامي ، مدعما بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية ، وتحليله لمكانة الرأي في الفكر الإسلامي »[(٣)] .

---

(1) islamonline.net/archive.

(٢) إرنست رينان Ernest Renan (ولد في فرنسا سنة ١٨٩٢م). وهو مؤرخ و مستشرق وباحث وناقد فرنسي كبير يعتبر من أعظم رواد حركة الاستشراق في العصر الحديث ، ورمز من رموز فرنسا كانت آراؤه تحمل نزعة استشراقية فيما يتعلق بالعرب ، إذ رأى أن العرب لم يسهموا بشكل كبير في التقدم العلمي والفكري، بل اعتبر أن إسهامات الحضارة الإسلامية تعود أساسًا إلى العناصر غير العربية، مثل الفرس والأمازيغ. وبشكل عام، كان رينان يعكس في آرائه النزعة الاستعمارية الأوروبية في عصره ، حيث روج لفكرة تفوق العرق الأوروبي ، لكنه في الوقت ذاته امتدح بعض الجوانب الثقافية للعرب ، مثل إسهامهم في نقل المعرفة اليونانية إلى أوروبا في العصور الوسطى. اهتم رينان بالدين من الناحية التاريخية وليس من الناحية اللاهوتية ، وطالب بنقد المصادر الدينية نقداً علميا وتاريخيا ودعا إلى التمييز بين العناصر التاريخية الحقيقية والعناصر الأسطورية الخرافية الموجودة فى الكتاب المقدس وعلى إثر ذلك انقلبت الكنيسة عليه. ومن أشهر كتبه « تاريخ نشأة المسيحية « .

https://arz.m.wikipedia.org/wiki/%D8%B1%D9%8A%D9%86%D8%A7%D9%86

(3) ()https://www.alwaraq.net/Core/dg/dg_topic?dmy=1&sort=u.id&order=asc&ID=2467&begin=11.

مدرسة الشيخ مصطفى عبد الرازق وتلاميذها((١))

لقد تأثر بأفكار الشيخ مصطفى عبد الرازق نفرٌ كريم من تلاميذه ، فاستكملوا ما بدأه ، وقدموا دراسات جديدة تكشف عن جوانب أصيلة في الفكر الفلسفي ، فكشف تلميذه محمود الخضيري عن ملامح الفلسفة الإسلامية الحقيقية في عصورها المختلفة .

وكتب محمد مصطفى حلمي عن الحياة الروحية في الإسلام ، وانبثاقها في جوهرها عن الدين الحنيف وحده ، ووضع دراسة ضافية عن فلسفة الحب الإلهي لدى عمر بن الفارض المعروف بسلطان العاشقين ، وقد ملأت كتاباته في التصوف فجوة كبيرة في تاريخ الفلسفة الإسلامية .

وقدم محمد عبد الهادي أبو ريدة دراسة رائدة عن المعتزلة متمثلة في فكر إبراهيم بن سيار النظام ، وأثبت أن لهذا الشيخ الكبير من شيوخ المعتزلة فلسفة أصيلة تجعله من الرعيل الأول من فلاسفة الدنيا .

وقدم علي سامي النشار كتابا حافلًا بعنوان « مناهج البحث عند مفكري الإسلام ونقد المسلمين للمنطق الأرسطاليسي « ، رد فيه على مؤرخي المنطق وعلم مناهج البحث الذين ينكرون أن يكون للمسلمين مكانة مبدعة في نطاق علم مناهج البحث ، وأنهم أخذوا بالمنطق اليوناني واعتبروه منهجًا لأبحاثهم .

وأثبت عدم قبول المفكرين المسلمين لمنطق أرسطو ومحاربتهم له ، وأنهم وضعوا المنطق الاستقرائي كاملًا ، وهو المنهج التجريبي ، وأن هناك وثائق عدة تثبت أن المسلمين استخدموا طرق التحقيق التجريبية في دراستهم للطب والعلوم الطبيعية والكيميائية والفلكية والنباتية ، وأن هذا المنهج قد وصل إلى أوربا واستفاد منه علماؤها ونسبوه إلى أنفسهم ، وكان سببا في إقامتهم حضارة إنسانية وعلم حقيقي .

وللنشار دراسة وافية في ثلاثة أجزاء بعنوان « نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام « تتبع فيها نشأة ذلك الفكر وأسس بنائه .

وإلى جانب هؤلاء أسهم عدد كبير آخر من تلامذة مصطفى عبد الرازق في مجالات الفلسفة، يأتي في مقدمتهم : عثمان أمين ، توفيق الطويل، وأحمد فؤاد الأهواني((٢)).

(1) islamonline.net/archive.

(٢) د. علي جمعة ، علم أصول الفقه وعلاقته بالفلسفة الإسلامية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ١٩٩٦م ، القاهرة .

المبحث الثالث
أصول الفقه إبداع العقل المسلم

المطلب الاول/أصول الفقه فلسفة إسلامية أصيلة

يتصل التفكير العقلي بتجربة الإنسان وخبراته في الحياة ، فالعقل قادر على احتواء وإدراك جميع الحقائق ليميز الأمور ويوازن بين الأضداد .

ولأجل الوقوف على الفكر الفلسفي في قالب بنيوي معاصر جديد مع التأصيل السليم لنشأة الفلسفة الإسلامية من خلال أصول الفقه وعلم الكلام والتصوف والحِكم والأمثال ، أقول : « يتوجب علينا أولا أن لا ننكر أن التفكير الفلسفي في الإسلام قد تأثر بالفلسفة اليونانية ، وأن المسلمين أخذوا عن أرسطو وأفلاطون ، غير أننا نخطئ إذا اعتبرنا كل ذلك مجرد محاكاة وتقليد ؛ فالفلسفة الإسلامية ذات تيارات متعددة اجتمعت وتفاعلت وولدّت أفكارها في قالب تجديدي من نسيج هويتها وفكرها الإسلامي ؛ حيث نجد أن الغربيين جعلوا من أمر التوافق بين الدين والفلسفة مناطا للابتكار في الفلسفة الإسلامية[(١)] » ، فكان القرآن الكريم خطابًا لعقل الإنسان ، يحض يستنهض العقول على الفهم القويم والتفكير السليم وإظهار الحق ، بل يِيقظ في الإنسان ملكاته الفكرية ، ويطلقه من أسر المرجعيات اللاعقلية ، قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ . {البقرة: ٢١٩} ، وبذلك يعيد القرآن تكوين مفاهيم الإنسان من خلال العلم والحكمة والعمل والأخلاق .

وتظهر أيضاً أصالة الفلسفة الإسلامية « في أصول الفقه الذي يحتوي على أفكار أصيلة في اللغات ودلالة الكلام ، وفلسفة التشريع ، فتوسع الفقهاء في علم الأصول ، وكونوا بذلك فلسفة أصيلة رائعة ، وعندما نشأ علم الكلام باعتباره ضرورة تقدر بقدرها وقتذاك كانت الغاية منه الدفا ع عن الإسلام ومواجهة خصومه ، فظهر الاجتهاد بالرأي ونشأت المذاهب الفقهية فكانت انطلاقة النظر العقلي في الإسلام ، فأصبحت الفلسفة في السياق الإسلامي أكثر اتساعاً وشمولية ، فهي الحكمة التي تتحاور مع الدين[(٢)] » ، فانفتحت على الأدب وأوجدت سلوكًا فلسفيًا في الأنماط الأدبية ، ووجدت وعيها بالذات العربية والإسلامية في الاصطدام التاريخي الحضاري بين الشرق

(١) الحربي ، أمل الحربي ، أصالة التصوف الإسلامي ، صحيفة الرياض ، السعودية ، عددها الصادر بتاريخ ١١/٢٧/ ٢٠٢١م .

(٢) علم أصول الفقه وعلاقته بالفلسفة الإسلامية د. علي جمعة .

و الغرب ، ونشأت مفاهيم الذات والهوية والأصالة .

فإذا كانت الفلسفة العربية اليوم « تعاني من عوائق وصعوبات نظرية وتاريخية لا حصر لها ، إلا أنها تتجه نحو بناء تاريخها الخاص من خلال الدفاع عن العقلانية النقدية ، وتأكيد دورها الحقيقي في الوقت المعاصر من خلال الحضور الفاعل في فكرنا لنتمكن من صياغة قضايا التاريخ بكثير من الدقة والوضوح ، ونلغي أشباه المشكلات التي تطفو فوق سطح ثقافتنا ، وتشوش أساليب استدلالنا[(١)]».

ويمكننا من خلال نظرية المعرفة الإسلامية والتي ترى أن مصادر المعرفة عند المسلم هي : الوحي « النص « والوجود « الكون « معا حتى شاع التوجيه لقراءة الكتابين _ كتاب الله المنظور» الكون « وهو من عالم الخلق ، وكتابه المسطور « القرآن « وهو من عالم الأمر قوله تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ }الأعراف:٥٤{ ، من خلال ذلك نصل إلى ما يمكن أن نسميه « أصول الفقه الحضاري « ، والذي يُعد إضافة إلى أصول الفقه الموروث الخاص بفهم النص (الوحي) ما يمكن أن يكون أداة لفهم الواقع بل والاستفادة « بإنشاء أداة يتعلمها المفتي ويتمكن بها من إدراك ذلك الواقع الذي أصبح شديد التغير سريع التبدل بعد هذه الطفرة في المواصلات والاتصالات والتقنيات الحديثة والتي جعلت الإنسان لا يعيش أمسه في يومه وتفصيل ذلك يحتاج إلى جهود متواصلة ليتم بصورة متأنية تبني ولا تهدم وتنفع ولا تضر»[(٢)] .

المطلب الثاني/أصول الفقه والتفكير الممنهج

أصول الفقه هو علم يضع القواعد الأصولية لاستنباط الأحكام الشرعية من أدلتها الصحيحة ، وفي تعريفه عند الرازي مثلا تذكر أركان المنهج العلمي حيث عرفه الرازي في كتابه (المحصول) بأنه مجموع طرق الفقه على سبيل الإجمال ، وكيفية الاستدلال بها وكيفية حال المستدل .

وأما البيضاوي فقد عرفه في قوله « معرفة دلائل الفقه إجمالا وكيفية الاستفادة منها وحال المستفيد».

ومن هذه التعريفات يمكن استخلاص أركان ذلك المنهج ، إنه يحرص على معرفة :

أ- مصادر البحث ب – طرق البحث ج - شروط الباحث .

(١) المرجع السابق .

(٢) علم أصول الفقه وعلاقته بالفلسفة الإسلامية د. علي جمعة .

وهي الأركان المنطقية لأي منهج في البحث العلمي الذي يبعد عن الخرافة ويبتعد عن الذاتية ويقرب من الموضوعية[(١)] .

إن التفكير المنطقي لا بد له من التثبيت والتوثيق لما ترجع لديه من نصوص القرآن والسنة ، ثم يأتي _ بعد التثبيت _ الفهم الصحيح لها ، فكان هذا هو المنهج الدقيق للوصول إلى الهدف المطلوب .

وإذا ما درجنا على هذا المنهج الذي يُعد بحد ذاته فلسفة تصدر عنها إجراءات ؛ تبين لنا مدى العلاقة بين أصول الفقه وبين الفلسفة الإسلامية .

فأصول الفقه يعني التعامل مع النص لفهمه ، والوقوف على أوصاف الفعل البشري ، والتي هي بدورها ما يطلق عليه الأصوليون بالحكم .

فالحكم عندهم : « هو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير أو الوضع ، وله أقسام هي : الوجوب والحرمة والندب والكراهة والإباحة وهي أوصاف للفعل البشري الذي يكون مبتدأ في جملة مفيدة والحكم خبر له فتتكون بذلك مسائل الفقه »[(٢)] .

فموضوع علم الفقه : هي أفعال المكلفين ، أما موضوع علم أصول الفقه هو : الأدلة الإجمالية التي تُستنبط الأحكام منها .

وبلا أدنى شك فإجراءات أصول الفقه تنبثق من رؤية تمثل مباحث الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام .

ومن هنا يأتي معنى استخلاف الله للإنسان في الأرض بقصد عبادة الله وتعمير الدنيا ، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ . {الذاريات: ٥٦}

وقال تعالى : ﴿ هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها ﴾ . {هود: ٦١} ، وقال ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ {البقرة: ٣٠}. فنصل إلى هذه الرتبة من رتب الإجابات على الأسئلة المتتالية الممتدة وقد دخلنا في مباحث علم الكلام ، ونستطيع أن نطبق على تلك الإجابة علة العلة ، أو العلة الثالثة .

وهنا تنبيه على لطيفة من لطائف كلام الفقهاء والأصوليين حيث يتكلمون عن « أن الحكم الفلاني لا علة له إنما هو للتعبد ونجد الفقهاء يختلفون فيذهب بعضهم إلى أن حكما معينا معلل وبعضهم إلى أنه غير معلل بل تعبدي ونجد أنهم يذكرون علة للحكم ثم يعودون فيصفونه بالتعبد

(١) المرجع السابق .

(٢) علم أصول الفقه وعلاقته بالفلسفة الإسلامية د. علي جمعة .

، ونجد أنهم قائلون بتعليل الأحكام وأنهم قائلون أيضا بأن أحكام الله غير معللة «[1] .

وبفهمنا لنظرية الأسئلة الممتدة نستطيع أن نفك التناقض في هذه الصور كلها ، حيث يصبح العجز عن إيجاد وصف منضبط يشتمل على معنى معقول مناسب شرع الحكم عنده حتى لا يبقى جوابًا على السؤال إلا أن الله قد أمر ولا بد من اتباع أمره ، هو حقيقة التعبد .

فالوضوء بكيفيته المعروفة لا يمكن الوصول إلى جواب عن سؤال : لماذا هذه الأعضاء فقط المشمولة بهذه الكيفية للوضوء ، ومن هنا فإن الوضوء يصبح أمرًا تعبديًا محضًا .

وإذا ما نظرنا غلى الإجابة الإمام مالك عن السؤال لماذا في قضية غسل الإناء الذي ولغ فيه الكلب سبعا إحداهن بالتراب ؟ ترى أن الإمام مالك قد جعل « هذا الأمر على سبيل التعبد ، بينما نجد أن الشافعي قد أجاب: بأن ذلك الترتيب لتغليظ نجاسة الكلب بحيث يصير لعابه أشد نجاسة من البول مثلا ، ولكن امتدت أسئلة الشافعي فسأل: لماذا كان لعاب الكلب أشد نجاسة من غيره فلا إجابة معقولة المعنى لهذا السؤال مما يعني التعبد في العلة الثانية ، أي في الإجابة على السؤال الثاني «[2] .

فالفرق بين الفقيهين هو في الإسراع بالإجابة بالتعبد على الأسئلة الممتدة .

وبهذا يصل البحث إلى أن علم أصول الفقه في ظاهره فلسفة قانون وتقنين أحكام حقوق وواجبات وحدود وجزاءات ومعاملات من مصدرٍ يُعتد به ... من مصادر الشريعة ، وهو بهذا في جوهره علم لمناهج بحث وأصول استدلال واستخلاص لتطبيقٍ قانون أو حكم ، على « أسس تمثِّل قواعد التفكير المُنتِج السليم ؛ أي أسس تتماهى مع قواعد المنطق ، وهل جزافًا أنَّ مصطلح القانون ، يلعب دورًا محوريًّا في كلا المجالَين ؛ التشريعات ومنطق العلم ، وأن كليهما محكومٌ بقيمة الحق ، الحقيقة ، والصدق ، حيث الحق هو الصواب . وفي حضارة الإسلام ولغته « الحق « هو النصيبُ المقنَّن والملكيةُ والحصةُ المشروعة ، ثم هو قبل هذا وبعده اسمٌ من أسماء الله الحسنى ، التي تمثِّل جِماع المثل العليا للإنسان المسلم «[3] .

(١) المرجع السابق .

(٢) علم أصول الفقه وعلاقته بالفلسفة الإسلامية د. علي جمعة .

(٣) المرجع السابق .

الخاتمة

لقد توصلت الدراسة الى أنَّ الاسلام أبرز إنسانية الانسان وتميزه وتفضيله على سائر المخلوقات وذلك عندما جعل العقل مناط التكليف لدى بني .

ولمقصد تنمية العقل ، فقد حث الإسلام على مطالبة الانسان بالتعقل ، فكان هذا بمثابة دعوة لطلب العلم ، فقال تعالى : (وقل ربي زدني علما) . [طه : ١١٤] ، كما وأوضحت الدراسة الى ان الاسلام قد انفرد عن سائر الأديان والمعتقدات باستخدامه الدليل العقلي في اثبات وجود الخالق عز وجل ، فكانت العقائد التي يدعو لها الإسلام قائمة على أسس علمية متبعًا طريق المنطق والعقل والمناقشة لنشر وتثبيت العقيدة وترسيخ الايمان في القلوب ، وفي ذلك دليل ساطع على تشريف الاسلام للعقل وحرصه على بيان قيمته وجوهريته وعلوّ مكانته.

كما أبرزت الدراسة أعظم ميزة تميزت بها الشريعة الاسلامية عن غيرها من الشرائع وذلك في إلزام المكلف بما شرعته من أحكام فكان وازع العقل أول طرق الالتزام وعمادها في الشريعة الاسلامية، لذلك أمرنا الحق سبحانه بتحكيم العقل ، وأكثر من البراهين والأدلة العقلية واسهب في إيراد الحكمة من كثير من الأحكام ويبشر الذي يؤتى الحكمة بأنه قد أوتي خيرًا كثيرًا.

لقد جعل الاسلام العقل سلطة أمرة ناهية الى جانب حكم الشرع لا تجافيه ، وأن تعطيل العقل يساوي المخالفة عن أحكامه ، فثبت أنّ النقل والعقل صنوان ، ذلك الحجية كل منهما ، لقوله تعالى نكاية عن الذين عطلوهما : ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ . {الملك: ١٠} .

وكان الحرص على زرع روح البحث وتتبع الحق وفهمه ، وإتباع ما أثبته البرهان والدليل ، ونبذ التقليد الأعمى ، واضحًا بتقدير القرآن الكريم لذلك قال تعالى : ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ ﴾ {الأنبياء: ٢٤} .

وتحقيقاً لهذا المعنى دعا الاسلام الى الاجتهاد فيما لا نص فيه من القضايا ، وجعل للمجتهد أجرين إن أصاب ، وأجر واحد إن أخطأ .

ونها في الوقت نفسه عن التقليد في العقيدة من غير الوقوف على الدليل والإقناع به وبين أن المشركين تقليدًا سيحاسبهم الله على ذلك، فقال سبحانه : ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾. {المؤمنون:١١٧}، كما ان الإسلام قد حرص حرصًا شديدًا على تحرير العقل من الاعتقادات الباطنة التي تفسد عمله ، كالخرافات

والأساطير والأوهام ، والاعتقاد بالسحر والشعوذة وما إلى ذلك مما يعطل طاقات العقل ويهدرها في ما لا طائل له .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- البخاري ، صحيح البخاري .

٢- الطبراني ، المعجم الوسيط .

٣- أبو نعيم الأصفهاني ، حلية الأولياء .

٤- الغزالي ، إحياء علوم الدين للغزالي ، ج١ .

٥- الغزالي ، معارج القدس في مدارج معرفة النفس ، دار الآفاق الجديدة ، ط٢ ، ١٩٧٥ ، بيروت .

٦- ابن الأثير ، جامع الأصول في أحاديث الرسول .

٧- العز بن عبد السلام ، قواعد الأحكام ، ت: طه عبد الرؤوف سعد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩١ ، ج١ .

٨- ابن القيم ، أعلام الموقعين عن رب العالمين ، ت: محمد عبد السلام إبراهيم ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٩٩١ ، بيروت ، ج٢ .

٩- الدريني ، فتحي ، خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم ، مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، ٢٠١٣ ، بيروت .

١٠- محمد قطب ، منهج التربية الإسلامية ، دار الشروق ، ط١٦ ، ١٩٨١ ، بيروت .

١١- الحمد ، محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد ، مصطلحات في كتب العقائد ، دار ابن خزيمة ، ط١ ، د. ت ، الرياض .

١٢- السقاف ، الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف ، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام ، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف ، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net .

١٣- ربيع الأول ، ١٤٣٣ هالشربيني ، عماد السيد محمد إسماعيل ، كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها ، دار الكتب المصرية ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م ، القاهرة .

١٤- مرحبا ، محمد عبد الرحمن مرحبا ، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الاسلامية ، عويدات للطباعة والنشر ، ٢٠٠٧ ، بيروت .

١٥- الشيباني ، عمر محمد التومي ، مقدمة في الفلسفة الإسلامية ، الدار العربية للكتاب ،

١٩٧٥ ، القاهرة .
١٦- مصطفى عبد الرازق رائد الفلسفة - موقع إسلام أون لاين .
١٧- النشار ، علي سامي النشار ، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، ج١ ، ط٩ ، د.ت ، دار المعارف ، كورنيش النيل ، القاهرة .
١٨- يالجن ، مقداد يالجن محمد علي ، علم الأخلاق الإسلامية ، دار عالم الكتب للطباعة والنشر ، الرياض ، ط ٢ ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .
١٩- الحربي ، أمل الحربي ، أصالة التصوف الإسلامي ، صحيفة الرياض ، السعودية ، عددها الصادر بتاريخ ٢٠٢١/١١/٢٧م .